بقلم : احمد سعيد محمدية

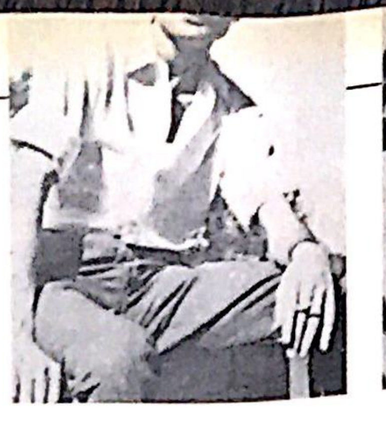

القضية وشعر القضية في حديث شخصي

مع الشاعر المقاوم محمود درويش

يتحدث محمود درويش ، شاعر المقاومة الفلسطينية ، في هذه المقابلة التي عقدها معه في موسكو ، احمد سعيد محمدية ، بصفاء ووضوح عهد بهما ، عن قضايا الشعر الثوري ، والاختيار الفكري ، والغربة المروعة في الوطن (تحدي الايقاع بينه وبين وطنه) . وهذه المقابلة ، هي آخر ما تحدث به الشاعر شخصيا ومباشرة منذ مكونه في موسكو . وكانت مجلة « الاداب » قد اجرت معه حديثا مكتوبا ، قبل شهرين .

●● قضيت في موسكو وبقية مدن الاتحاد السوفياتي ١٥ يوما مليئة ورائعة ، وكان ابلغ تلك الايام في نفسي هو اليوم الذي احتشد فيه القلب كله بكل مشاعر البشر والوطن حيث التقيت محمود درويش شاعر المقاومة الفلسطينية ، ذلك اللقاء الحزين المديد ، الذي شحن بأحاسيس ابن الوطن المقهور الغريب في وطنه المحتل، بأحاسيس ابن المنفى المعذب بالمهاجر الغريبة عبر اثنين وعشرين سنة سوداء .

من حيفا جاء

من حيفا حيث يسكن جاء محمود درويش .. سلم امانة جريدة « الاتحاد » التي يرئس تحريرها الى زميله سميح القاسم ، وترك حيفا بعد مماطلة السلطات الاسرائيلية ، وبعد ان كانت قد مارست عليه كل انواع العذابات النفسية والفكرية والجسدية ، لعل اقلها عدم السماح له بمغادرة حيفا ، وعدم السماح له بالخروج من بيته اذا جاء الليل ، وضرورة اثبات وجوده في المخفر كل ساعة .

قرر محمود أن يستقيم في موسكو سنة وبضعة شهور ، ورأى الا تكون هذه الفترة فترة راحة من المطاردة والملاحقة الصهيونية الفاشية يوميا ، وانما فترة اعداد ثقافي وفترة مراجعة وجدانية ، وفترة محاسبة فنية ، ولذلك اختار ان يحصل الان ـ وكجزء من فترة اعداد الذات ـ دروسا في العلوم التاريخية والاجتماعية يرسخ بها من طرف رؤياه العقائدية المتمثلة بالمنهج الاشتراكي العلمي ، ذلك المنهج الذي اختاره اسلوبا لنضاله السياسي والاجتماعي .

وكان ثمة موعد بيني وبين محمود كي التقيه وكان من المستحيل أن يكون اللقاء فوق أرض عربية فان الحقيقة الجارحة هي ان مواطني فلسطين المحتلة يحملون جوازات سفر اسرائيلية، ولم يكن ثمة مكان انسب واقرب من موسكو له ولي فجئته وانا أحمل اليه اشواق المنافي الفلسطينية كلها، ولهفة الجماهير العربية وحدبها عليه ، واحتضان كل القلوب التي آمنت بكلمته المقاتلة ، تلك الكلمة الشعرية التي ناضلت وتتأمل وسط اقسى الظروف الانسانية والسياسية .

كان الموعد الاول بيني وبينه أمام معهد الدراسات الماركسية اللينينية بالقرب من الفندق الذي انزل فيه ، وكنت لا اعرف عن محمود شيئا الا انه طويل القامة ناحل العود املس الشعر ابيض البشرة واوصافه هذه اوصاف عامة يتصف بها معظم شبان موسكو ، لذلك عندما ازفت الساعة الرابعة هممت بعناق اكثر من شاب من شبان موسكو ظنا انني اعانق محمود ، الا ان الوقت مضى ومحمود لم يأت فعدت الى غرفتي بالفندق وانا اتلفت يمنة ويسرة علني اجد وجه محمود بين الوجوه الغريبة .

وفي الساعة الخامسة طرق محمود باب غرفتي وهل علي بوجهه الدقيق الصبوح ، وبرفقته ذلك الشاب الناحل الصامت الذي بدأ اسمه يتوهج على ارض الفن الفلسطيني في الوطن المحتل : نبيل عودة .

اخذنا الشوق المستبد عناقا ودموعا ولهفة .. عناق المتاعبين الذين لم يعرف الا هم طعم الفراق ولون السنين العجاف السود ، عناق السجين في وطنه مع ابن الوطن المنفي من ارض الوطن ، ودموع الغريب مع الغريب في أرض الغربة ، ولهفة وشوق الارض للارض .. الارض المقهورة مع الارض المبتورة .

وتصورت نفسي ومحمود وكأننا نعيش ذروة من ذرى التفاعل بين الانسان والانسان من أبناء الوطن الواحد ، واننا نمثل في تلك اللحظة الفارقة ، الفاجعة الفلسطينية التي سقطت على عقولنا وقلوبنا حتى طفحت حياتنا بها وبأحزان البشرية كلها من خلالها .

ورأيت كأننا شخوص رواية اميل حبيبي الفذة « سداسية الايام الستة » تلك التي باغتت الفن العربي المعاصر بمستواها المتفوق ، والتي أرخت أدبيا وبايجاز شديد لنكبة ضياع بقية الوطن الفلسطيني في حزيران ، والتي تحرك أبطالها تلك الحركة المحسوبة في فلسطينهم المحتلة من النهر الى البحر ومن الجبل الى الصحراء ليمثلوا العناق بين الفلسطيني المحتل والفلسطيني المنفي .

وعدت الى محمود لاستطلع صورته وهو يتكلم بهدوء وبساطة ، ورأيته ـ ليس كما ظننت ـ رأيته بسيطا في غاية الانفراد ، وانه ليس مكسوا بأي قسمة من قسمات الغرور .

ظننت من قبل ان العواطف الجماهيرية التي اعطيت له وهو ابن الخامسة والعشرين بعد ـ عمر محمود درويش الان ٢٩ سنة فهو من مواليد ١٩٤١ ـ والتي رفعته من قاع النسيان البعيد الى ذروة الاحتفاء والشهرة سوف تكسبه شيئا من الشموخ النفسي البالغ فيه ، أو شيئا من الاستعلاء الفني ، الا انه لم يكن كذلك ، كان بسيطا كفلاح فلسطيني خرج من قرية البروة لتوه ، وكان ودودا وناعم العبارة ومخلصا في عواطفه للجميع .

وجد محمود في غرفتي شاعرا فلسطينيا انجز رسالة الدكتوراه عن أدب المقاومة الفلسطينية من الثلاثينات حتى السبعينات في جامعة موسكو ، وكان يعرفه ، وبدأ يسأله عن احواله وعن زوجته الروسية وعن ابنه مكسيم ، وكان الدكتور ـ شوقي العمري ـ يجيب ويبدي لهفته وحنينه للوطن .

قال محمود : « صحيح أن قضية الوطن هي قضية كبيرة ، وهي تمثل وجود الانسان الفكري والنفسي والمزاجي ، ولكننا احيانا نرى الوطن في الاشياء الصغيرة . يبدو لي ان العقيدة القومية التي تمثل رؤيانا للوطن تتوزع فوق مساحة كبيرة خارقة الاتساع ، تبدأ من اعلى قمة يستطيع العقل البشري الوصول اليها تحليلا وتعليلا وتنتهي عند البسائط من الامور .

وامسك محمود درويش بمجموعة من الكتب التي احضرتها له من بيروت ، ومن بينها مجموعة دواوينه الستة التي طبعتها « دار العودة » ، وهزه هذا الاحتفاء الفني المتجسد بالدواوين وخاصة المجلد الكبير الذي يجمع شعره كله ، وبدأ يمسك كل ديوان على حدة بلهفة وكأنه أب يأخذ بين يديه طفلا من اطفاله ، وبدأ يتطلع في قصائد كل ديوان على حدة ، وكأنه يتطلع في مرآة نفسه ليرى صورة هذه النفس .

وارتفع صوته ليقرأ لنفسه شيئا من ديوانه « حبيبتي تنهض من نومها » ، « آت الى ظل عينيك » :

انا آت الى ظل عينيك .. آت
من غبار الاكاذيب .. آت
من قشور الاساطير آت
انت لي . انت حزني وانت الفرح
انت جرحي وقوس قزح
انت قيدي وحريتي
انت طيني واسطورتي
انت لي . انت لي .. بجراحك
كل جرح حديقه !
انت لي . انت لي .. بنواحك
كل صوت حقيقه .
انت شمسي التي تنطفىء
انت ليلي الذي يشتعل
انت موتي ، وانت حياتي
وسآتي الى ظل عينيك .. آت !

كان صوته عميقا يخرج من أغوار معذبة بعيدة ، وكان فيه حنين العاشق .

الارض حبيبتي

● قلت : لم توقفت عن الغزل .. عندما قرأنا محاولتك الاولى المتمثلة في « عصافير بلا اجنحة » تصورناك شاعرا يجب ان يحتل موقع أمير الغزل العربي عمر بن أبي ربيعة ، أو ان يكون له طموح نزار قباني في الدخول تحت ثوب المرأة وداخل صدرها وتحليل مشاعرها ؟

ـ كل ما اكتبه الان غزل .. انما مفهوم الغزل اتسع وتعمق فاصبح يشمل كل ما في الحياة .. ان حبيبتي هي الارض ، وانا انغزل بها .. بالوطن والانسان والقيم .

● ولكن شكل الغزل يتوجه الى امرأة احيانا .. أليس كذلك ؟

ـ ان المرأة تجسيد لكل المعاني التي ذكرت ، ولا يمكن فصل صورة الارض عن صورة المرأة .. أليست الارض هي الام وهي المعشوقة ؟

● ولكنني أرى ان عشقك الوطني مقترن بالفعل بعشق لامرأة ، والا ما معنى ترديدك لاسم « ريتا » .. لقد ذكرت ريتا مرات في قصائدك الاخيرة ؟

ضحك ضحكة فيها طيبة القرويين ، وأراد أن يقول شيئا ولم يقل ، وأحسست انه أخفى قصته ولكنه عاد ليقول :

ـ انها انسانة .. ليست محدودة .

وسألني عن آخر احداث الوطن العربي ، ماذا يجري الان فيه ، وعندما سألني كان يهرب من حالة فاستجبت معه ، وقلت ما ترى وتسمع ، لقد دب اليأس في قلوب المثقفين العرب ... الفتيل الذي اشعله الشعب الفلسطيني ... حزيران لكن اليأس قد امتد الى الجماهير ...

تفاؤلي تاريخي

● قلت : كيف تبدو متفائلا باستمرار وسط هذه المحنة ؟

ـ ان تفاؤلي ليس تفاؤلا بروح المرحلة الراهنة .. تفاؤلي تاريخي .. انني مؤمن ان حركة التاريخ لا بد ان تتجه في مسارها الطبيعي ، ولا بد بالتالي أن توضع الاشياء في مواقعها .

● كلامك عن الامة العربية شبيه بكلام المستشرق جاك بيرك ولكن تفاؤل بيرك حضاري .

ـ ان حركة التاريخ التصاعدية هي حركة حضارية ، واعتقد انه لا فرق بين ما ... وما قلت .

● صوتك المتفائل يبدو فريدا او يكاد .. كيف يأتي صوتك بعد هزيمة حزيران ليقول ... العاصفة وعدتني بخمر ونبيذ كثير ، و... العربية اقدامها تغوص في الرماد والوحل والدم والدموع ؟

ـ صوتي ليس فريدا ، وانما هو نغم واحد من جوقة الشعراء العرب المناضلين ، هنا يغض النظر عن بعض التفاصيل والملاحظات .

واكمل :

« كوني موجود في صميم لحم الوطن ... حررني وحرر زملائي ايضا معا يسمى الولولة طويلا أمام موضة القلق العصري ، والثرثرة الديوانية حول الشعر ورسالته . نحن نكتب الشعر ، وليس مهما كثيرا ان نعرف لماذا وكيف نكتب .. اننا نصرخ وننزف .. وليس لدينا و... الهدوء او الانكسار او الانهزام النفسي .. اننا ... العربية . ان لم تتسلح بتفاؤل تاريخي ... شد العضد في معركة التحدي فكيف ... انا نعيش في المعركة لحظة تلو لحظة ، ... دقيقة من عمرنا الا ونحس اننا ... التحديات الكبرى المستمرة ، اننا عندما ... نتحدى ، وعندما نكون موجودين على ارضنا ... ، وعندما نأكل من زادنا نتحدى .. لاننا ... الوطن كله الى العبرية لغة ، والى الصهيونية ارضا وتقاليد وزادا .

... هنا وجه محمود درويش الرفيق وبدت ... حاسمة وقاطعة ، وارتد الدم في وجهه ... صورة حقيقة في لحظة التحدي المستمرة .

نحو مسرح سياسي ثوري

تتهيأ فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية التابعة للجبهة الشعبية ـ فرع لبنان ، لتقديم مسرحيتين ثوريتين ، في بيروت والمناطق الاخرى .

■ المسرحية الاولى بعنوان « طفل بلا عنوان » ، وقد كتبت بصورة جماعية اذ شاركت ثلاثة عناصر من الجبهة في ذلك . والمسرحية في اطارها العريض تستخدم احداث الاردن الاخيرة كمادة ونسيج للاحداث ، وتحرص على ابراز البطولة الجماعية .

وستباشر الفرقة تقديم هذا العمل المسرحي في مطلع كانون الاول القادم .

■ المسرحية الثانية ، مقتبسة عن مسرحية كاتب ياسين «الاجداد يزدادون ضراوة » ، وقد أخذت في شكلها الجديد عنوان « رسالة الاجداد » . وبذلك تسهم فرقة الفنون الشعبية، بتقديم كاتب مسرحي طليعي، للمرة الاولى في لبنان، وستعرض في غضون الشهر القادم. ومن جهة اخرى فان النية معقودة على كتابة مسرحية عن الثائر « باتريك ارغويللو » .

وغني عن القول ، بان بعث النشاط المسرحي ، سيكون من شأنه دفع المسرح السياسي العربي الى امام ، وتثبيت موقعه ، كأداة من ادوات النضال، الذي سيظل يخوضه شعبنا ، حتى تحقيق اهدافه .

تحديات

● قلت ، وانا احاول ان اسحب من قلبه وزادا من شعاع الامل لنا نحن الذين نكاد نسير بلا طرق : ما هو اهم ما يواجهك في موطنك من تحديات ؟

قال بسرعة :

ـ التحدي الاول والاساسي هو ان ابرهن لنفسي، ولنفسي اولا: هل هذا هو وطني أم لا .. كل يوم اواجه تحدي الايقاع بيني وبين وطني . انني انظر في كل شجرة وحجر وشارع ولغة ونغم فلا اجد نفسي .. لا اجد ماضي ، ولا اجد شعبي ، ولا اجد وجهي ، ولا اجد يدي ، واحيانا لا اجد لساني .

فمن انا .. ان البلاد بلادي ، ولكن الواقع يحاول اقناعي بأن هذه الحقيقة تنتمي الى الماضي والمستقبل الان مليء بالوعود .

انا الان واقف في هذه الدوامة ، دوامة اصالة الماضي ، وطراوة الجرح وحاضر السكين، والعنف والتحدي واللامنطق .

ان العالم يمتحن على الارض الفلسطينية القيم ، او ما اصطلحنا على تسميته قيما في ما يتعلق بالحق والمنطق .

● ان ما انت فيه حالة قلق يا محمود ؟ انا اعرف ماذا تريد ان تقول ؟ ولكن اظن الامر في قلبك قد حسم رغم هذا الواقع الذي ترى فيه حيفا وبقية فلسطين ؟

ـ التحدي هنا ليس سهلا .. ليس سهلا كما يبدو للوهلة الاولى .. انه في منتهى القسوة .. ان تكون حبيبتك خنجرا ليس سهلا ، وان تختار الخلاص من الخنجر فستكون بلا وطن ولا هوية ولا انسانية .

وصمت محمود قليلا كأنه يستبطن نفسه ليرى صورة الجرح الفلسطيني اكثر فاكثر وعاد يقول ووجهه يتخذ ملامح اكثر صرامة وحدة :

وطني يتخذ الشكل التالي : « انه سكين تحفر في داخلي فاشعر بالالم واللذة ، فاحتار .. اذا اردت التحرر من الالم بسحب السكين من لحمي فسافقد اللذة ، واذا حافظت على اللذة فسأرضى بالالم .. وهكذا يتزاوج الالم واللذة تزاوجا غير عادي ، ولكنه حتمي وليس لي منه مفر .. وهكذا ترى ان تفاؤلي ليس تفاؤلا سلاجا لاننا نعيش حالة تحد تاريخي وحضاري وسياسي واخلاقي .

في ظل تمثال مايا كوفسكي

قال محمود : هل تذهب الى مكان خارج الفندق ؟ واستجاب الجميع ، الدكتور شوقي ونبيل عودة وانا .. اتجهنا الى مطعم في ساحة مايا كوفسكي .. حيث ينتصب تمثال الشاعر السوفياتي الكبير .. وقفنا ازاء التمثال وقف محمود يتأمل الوجه المنحوت بازميل مبدع ، والقامة المشدودة على قاعدة برونزية ، وبدأ يردد قليلا من شعر مايا كوفسكي الثوري الذي يتحدث عن الامل والجرح ، والجماهير ، وعن الثورة التي تجرف كل شيء الا القيم النبيلة والحب والسلام .

● قلت : لقد فاتتني فرصة أن التقط لك صورة في ظل تمثال مايا كوفسكي .. انه من الرائع ان تنزل صورة شاعر الثورة الفلسطينية مع شاعر الثورة السوفياتية :

احمر وجه محمود بتواضع غريب .. وبدا لي وكأنه لا يعرف ماذا يريد ان يقول ليرد على الثناء وهو الذي يشبه نجيب محفوظ في هذه الخصلة .. عندما تمتدحه .

ـ وقال محمود : انني احب مايا كوفسكي كثيرا .

● هل تأثرت به ؟

ـ لم اقرأ كل شعره ولكن الذي قرأته قد وصل من نفسي الاعماق .

● وبمن تأثرت من الشعراء العرب ؟

ـ من الصعب ان اقول انني اتابع او انني أعلن ولائي التام لشاعر عربي واحد .. انني شديد الاعجاب بابي فراس الحمداني من الشعراء القدامى وببدر شاكر السياب من المعاصرين . ويعجبني شعر البياتي وصلاح عبد الصبور وخليل حاوي ونزار قباني ومعين بسيسو وسعدي يوسف ، ويلفت نظري في المدة الاخيرة شعر امل دنقل وشعر فواز عيد . وانا مفتون ايضا بعبد الرحمن الابنودي .

● قلت : وادونيس ؟

ـ لم اقرأه للاسف : وبودي لو اقرأ كثيرا من شعره .

ودخلنا المطعم بعد ان انتظرنا دورنا على الباب مدة نصف ساعة في الصف الطويل مثل بقية أهل موسكو ، وعندما اتخذنا مكانا قصيا ومنفردا قال الدكتور شوقي العمري :

لماذا هذه الوحدة .. الا يكفي تفردنا بالعذاب والاغتراب.. وكانت اصوات الاصدقاء السوفيات تأتي الينا من الموائد القريبة النشوى وكل مائدة ترفع اصوات اصحابها بغناء روسي موقع ... حتى اذا طربت المائدة قام من عليها ليراقصوا بعضهم بعضا ، ولان النساء في موسكو اكثر عددا من الرجال فان الكثيرات من النساء يرقصن مع النساء .

● قلت : موسكو مدينة كبيرة ، الداخل اليها يضيع فيها .. لقد نمت يوما على الرصيف لانني لم اعرف كيف اعود للفندق . انا مثل بقية العرب نحب المدن الصغيرة التي فيها الفة .

ـ هل نشرب نخب شاعر عزيز على نفسي، واعرفه شخصيا هو صلاح عبد الصبور ؟

قال ذلك واردف : ولكننا نريد ان نشرب ايضا نخب فلسطيني لا اعرفه شخصيا ولكنني اعرف انه انسان واديب رائع .. غسان كنفاني .

وقلت : وصلنا انك بصدد الهجرة من حيفا ؟

قال : مكاني حيفا .. انا مزروع فيها ومصلوب ابدي على خشبتها وانا باق هناك .. باق في حيفا في موقعي الصفر .. اعمل ما استطيع من صفحات مجلتنا المتواضعة «الجديد» ومن جريدتنا « الاتحاد » .

رفاق النضال

● قلت له : وانا اقفز معه الى رفاق نضاله الذين يقاومون العدو بالكلمة الصاسرة يوميا : حدثنا عن اخوانك الذين يقفون معك في خندق واحد : سميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران واميل حبيبي ؟

● سميح هو صديقي وزميلي منذ نشأتنا الادبية الى درجة اختلطت فيه الزمالة بالصداقة فانا لا اعرف هل زمالتنا كانت مقدمة الصداقة ، أم صداقتنا كانت مقدمة الزمالة ؟

ان سميح من أعز زملائي ، واعجب بحماسته الشديدة للشعر ، وايمانه العميق جدا بفعالية القصيدة وهو شاعر موهوب جدا ونشيط .

نحن نعيش معا ، ونعمل معا ، ونأكل معا ، ونتخاصم ونتصالح كافضل ما يكون الاصدقاء ، ولكننا نادرا ما نتحدث عن الشعر مع بعض .

ـ اميل حبيبي صاحب اذكى واعمق واجمل قلم لدى عرب فلسطين المحتلة ، ويبدو لي انه يعاني ازدواجية شخصية فهو سياسي محترف وهو هاوي ادب ، وهو بارع في الجانبين ، ولكن الادب المعاصر سيربح كثيرا لو انعكست الاية اي لو أصبح اميل حبيبي اديبا محترفا ، وسياسيا هاويا ، ولكن اميل مع هذا ينجح في ان يأخذ من نشاطه السياسي ساعات للكتابة ، اصبحت وستصبح ثمينة للغاية على وجدان القراء العرب ، ولكن المواطن العربي لا يعرف ان اميل حبيبي خطيب لامع ، انه فنان يستولي على مشاعر العقول والقلوب لدى المستمعين وبشكل نادر .

ـ توفيق زياد وسالم جبران اقول عنهما ما قلته عن سميح فهما زميلان وصديقان وكل منهما يجهد لاقامة بناء الشعر النضالي المقاوم والمقاتل في أرض الوطن .

وبهذه المناسبة اذكر باحترام وحب حقيقيين الصديق الشاعر راشد حسين الذي يعيش في المنفى الامريكي .. لقد خسرناه وخسره العالم العربي كله ، بصمته فقدنا صوتا من اصفى وابسط الاصوات واجملها ، ولكنني ارند ان صمته سينفجر بعاصفة عنيفة وعالية .

لماذا اخترت الماركسية ؟

● قلت لمحمود وانا احس بالتزامه الشديد واخلاصه المتناهي للاشتراكية العلمية وسلوكه المتماثل مع ايمانه الفكري : لماذا اخترت الماركسية طريقا نضاليا ورؤيا سياسية ؟

ـ الاجابة على هذا السؤال تحتاج ان اكتب اليك ردا طويلا .

● قلت : اريد ان اعرف بايجاز ؟

ـ اخترتها نتيجة دراسة ، وبحثا عن حل او حلول ، لقضايا المجتمع ، واعتقد ان الماركسية هي الفلسفة الوحيدة في عصرنا القادرة على حل قضايا المجتمعات والصراع الطبقي وتوفير الحرية الحقيقية والسعادة الحقيقية للانسان .

● الناقد المصري جاء النقاش اضاف فصولا جديدة في كتابه عنك ، وقال في فصل منها انك لست ماركسيا خالصا فشعرك قومي وليس ماركسيا ؟

ـ هذه رؤياه لشعري ، ورجاء ناقد ممتاز .

● قلت : رؤياك الماركسية السياسية والنضالية وايمانك بالمنهج الاشتراكي قد أثر في صياغتك وصورك .. هل هذا الكلام صحيح ؟

ـ في الصياغة لا اعتقد .. انه ترك أثرا حادا في الجوهر والمضمون والمنهج الاشتراكي ليس شكلا انه مضمون :

ان المنهج الاشتراكي العلمي اعطاني ما يسمى بالتفاؤل التاريخي ، اعطاني الاسلوب او المنهج لفهم التطور الاجتماعي والتاريخي ، واغنى رؤياي وآفاقي بالامل الواعي ، وفر لي السؤال الواعي ، وفر لي السؤال الصعب الموجه باستمرار للبشرية ، وهو : ما هو سر تحمل البشرية لكل هذه الالام ، ومعنى استمرارها في السير مصلوبة على هذا الصليب الكبير ؟ اعطاني مشروع حل قضايا الانسان المعاصر ، وفر لي ايضا جوهر الانسان الثابت ، واعطاني فهما آخر للتاريخ .

● قلت وانا اكرر امامه ما قلته له قبل قليل : ان صوتك الفريد يجعل المتمزقين يحسون بالامل والبشرى ؟

ـ قال بسرعة وهو يحسم قضية كثر فيها الكلام : ان صوتي ليس فريدا .. اقول لك انه جزء او استمرار لكل الاصوات الواعية والانسانية والمناضلة في الشعر العربي في مسيرته القديمة والمعاصرة .

انك تمزج بين صوتي وبين موقف الناس منه .. ان الطابع الخاص للقضية الفلسطينية وخاصة بعد نكبة حزيران صب كل الاهتمام العربي في هذه القضية مما خلق عطفا لا حد له ، لكل ما يخرج من التربة الفلسطينية .. ليس لنتاجي وحده ، ولكن لكل نتاج ، وبغض النظر عن نوعية وجدارة النتاج ، وهذا ما يفسر الاهتمام غير العادي بكل ما تنبته هذه التربة .

● متى تكتب قصائدك ؟

ـ ليس في مكان او زمان محدد .. كنت اعتقد ان ساعات الليل المتأخرة هي افضل الاوقات للشاعر ولكن ليس ذلك الا ضربا من ضروب الخيال .. القصيدة قد تولد في اي مكان وقد يأتي المخاض في ارذل الاوقات او ارذل الامكنة .

● لا اعرف ما هو السؤال الذي وضعته امامه حتى سمعت صوته يقول لي :

ـ لا يمكن ان تنظر للشعر العربي أو لشعر أي شاعر من الشعوب كوحدة واحدة . المجتمعات العربية كأي مجتمعات أخرى .. غير متجانسة ، لكل طبقة شعراؤها الذين يعبرون عن قضاياها ..

وهذا لا يعني ان شعراء البورجوازية لا يتبنون فلسفة الطبقة العاملة ، ولكننا نحلم كثيرا اذا اعتقدنا اننا نستطيع أن نخلق من المجتمع العربي المتعدد الطبقات صوتا شعريا متجانسا .

عندما شربنا نخب الوطن انتفض محمود درويش عن مقعده وسحب من جيبه « الروبلات » ، واصر بحماسة القروي الطيب المخلص ان يكون مضيفنا في موسكو ، واستجبت له وانا انظر صورته امامي ، واسمع صوته الهامس القوي في اذني ، واستذكر معه قصة والده والارض الطيبة المسروقة منه ، وأرى فيه مثالا متميزا للحب ، وانظر اليه مجددا فأرى هذا الحزن القريب العميق الذي لا ينتهي ، واراه كأنه حلم او نغم .. وهو كذلك .

وعندما ودعنا بعضنا احسست بمزيد من محبتي له .